مع زلزال سومطرة: سؤال عن الرحمة والعدل الالهيين (1-4)

<"xml encoding="UTF-8?>

الزلزال الرهيب الذي ضرب جزيرة سومطرة الأندونيسية، وما أعقبه من موجو التسونامي العملاقة التي شملت عدة مناطق شاطئية في المحيط الهندي، وتسببت في خسائر كبيرة في الأرواح تصل إلى 150 ألف نسمة أو أكثر، بالإضافة للأضرار المادية الكبيرة المتمثلة في تدمير القرى والمدن والممتلكات.

هذا الزلزال قد يطرح سؤالا عند الكثيرين: أين رحمة الله وعدله؟ هل هذا الذي نزل عذاب من الله أم ابتلاء أم غير ذلك؟ وإذا كان عذابا فلماذا ينزل بهؤلاء الفقراء دون غيرهم من الأغنياء المترفين الذين يعيثون في الأرض فسادا؟

سنحاول على مدى حلقتين أو أكثر أن نعالج بعض جوانب هذا الموضوع. وفي هذه الحلقة سنركز على الإطار العام الذي ينبغي أن يفكر وينظر من خلاله المسلم لمثل هذه الأحداث الكارثية.

1-إن علمنا نحن البشر محدود وسيظل محدودا، فقد نكتشف أسرار ظاهرة معينة وقد لا نكتشفها، وقد نعرف الحكمة الإلهية في ذلك وقد لا نعلم. وستظل الآية الكريمة تلاحقنا في تحد تحريضي قائلة :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ 1

2- يجب أن ندرك بأنه كلما خفي على الإنسان وجه الحكمة وحقيقة الأمر فإن صبره سينفد، ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ 2وبالتالي قد يوقعه نفاد الصبر في مطبات الظنون والتخرصات والأسئلة التشكيكية التي لا تتناسب ومقام الله تعالى. إننا لا نريد أن ننكر مشروعية السؤال الاستفهامي الذي يقصد السائل منه الوصول إلى معرفة أعمق ليطمئن قلبه وليتمكن من الرد على المشككين في رحمة الله وعدالته، ولكننا نريد التنبيه إلى هذه الحقيقة.

3- نبه القرآن الكريم إلى حقيقة هامة يجب أن نعيشها في كل أمور حياتنا، ذلك أن ليس كل ما نحب خيرا أو كل ما نكره شرا.
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ 3

4- كذلك أوضح القرآن أن الشدة يصحبها الرخاء ولا يفارقها، وأكد هذا المعنى في آيتين متجاورتين في سورة

الانشراح:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ 4 ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ 5

5- إن سؤالنا ينبغي أن يستند إلى إيمان راسخ بعدل الله ورحمته. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ 6 7.

_____

1. القران الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 85، الصفحة: 290.
2. القران الكريم: سورة الكهف (18)، الآية: 68، الصفحة: 301.
3. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 216، الصفحة: 34.
4. القران الكريم: سورة الشرح (94)، الآية: 5، الصفحة: 596.
5. القران الكريم: سورة الشرح (94)، الآية: 6، الصفحة: 596.
6. القران الكريم: سورة يونس (10)، الآية: 44، الصفحة: 214.
7. نقلا عن شبكة مزن الثقافية - 2/1/2005م.